

- ⁵⁸ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير مج 4 ص. 227.
- ⁵⁹ هود، الآية 78.
- ⁶⁰ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير مج 4 ص. 227.
- ⁶¹ حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها ص. 126.
- ⁶² المرجع نفسه، ص. 126.
- ⁶³ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مج 04 ص 237 .
- ⁶⁴ الأعراف، الآية 85. هود، الآية 48.
- ⁶⁵ هود، الآية 95.
- ⁶⁶ الأعراف، الآية 91.
- ⁶⁷ الأعراف، الآية 90.
- ⁶⁸ الأعراف، الآية 92.
- ⁶⁹ هود، الآية 91.
- ⁷⁰ الأعراف، الآية 116.
- ⁷¹ الأعراف، الآية 106.
- ⁷² الأعراف، الآية 117.
- ⁷³ هود، الآية 98.
- ⁷⁴ الأعراف، الآية 119.
- ⁷⁵ هود، الآية 99.
- ⁷⁶ الأعراف، الآية 120.
- ⁷⁷ الأعراف، الآية 115.

الإتباع في اللغة

الأستاذة: د. منصوري خيرة

قسم اللغات اللاتينية

كلية الآداب و اللغات - السانيا وهران

لفتت الظاهرة اللغوية انتباه الإنسان منذ قدم الأزل . وظاهرة الإتياع - بسكون التاء - ، وهو من سنن العرب في كلامهم ومما أثر عنهم ؛ فللعرب الإتياع¹، قد تنبّه لوجودها ، اللغويون القدامى، فسجّلوها في آثارهم .

ورد هذا الأصل² لأصل ومشتقاته في القرآن الكريم ، في مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى { ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آيةٍ ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعضٍ } ولئن أتيتهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين { البقرة : 145 وقال تعالى { إنا كنا لكم تبعاً } إبراهيم: 21، وقال عز وجل { ثم لا تجدوا لكم علينا تبعةً } الإسراء: 69

أما مادة "تبع" في اللغة - بدءاً بالجذر الاشتقاقي، إتيولوجيا "Etymologie" - ، فإنها تدلّ على "التلوّ والقفو" . يقال : "تبع فلانا ، إذا تلوّته ، وأتبعته وأتبعته ، إذا لحقته"³ . وفي اللسان ، وردت "تبع الشيء" بمعنى سار في أثره ، و"تبعه ، قفاه والتابع ، التالي"⁴ .

أفادت الدلالة اللغوية ، الملحق به واللاحق ، والمتلوّ والتالي ، والمتبوع والتابع ؛ فإجراء الإتياع يقتضي طرفين ، يتتبع أحدهما للآخر ، ويقتضي أثره ، ولا شك أنّ التابع يكتسب من متبوعه ، فيتلوّن بلونه ويتشكّل بشكله ، كلياً أو جزئياً . يظهر لنا من خلال التعريف المعجمي ، أنّ الإتياع في اللغة : مصدر أتبع الشيء الشيء ، ألحقه به وجعله تالياً . و لكي يتحقّق الإتياع ، لا بدّ من وجود طرفين أحدهما متبوع والآخر تابع ، وكأنّ الظاهرة في مفهومها العميق ، متعلّقة بتتابع ؛ يخضع لانجذاب أجزاء الكون ومكوّناته ، في إحكام وتناسق وانسجام ؛ إذ لا لاحق بدون سابق ولا سابق بدون لاحق . و الإتياع ظاهرة لغوية واسعة النطاق ، متعدّدة الأشكال والألوان ، والمتتبع لنشاط الإتياع في اللغة ، يدرك أنّ الظاهرة تتوزّع كالآتي :

- إتياع الحركات :

هو ضرب من ضروب تأثر الصوائت المتجاورة ببعضها ، ويطلق عليها اللغويون المحدثون اسم "التوافق الحركي Vowel harmony"⁵ .

لقد تنبّه اللغويون القدامى ، لثبوت ظاهرة إتياع الحركات في الاستعمال اللغوي ، فعّدوها من قبيل المناسبة الصوتية . وعلّلوا لحدوثها ؛ بأنّ اللغة تعمل على التشاكل والفرار من نفرة الاختلاف ، وتحافظ على أن تجري الأبواب على سنن واحد . ولذلك أتبعوا الحركة الحركة ؛ تحقيقاً لهذا التشاكل . مثل قولهم "أنا أجوؤك وأنبؤك" ، وهو مُنخُدر من الجبل ، ومُنْتِن ومِغيرة ، ونحو ذلك من باب شِعِير ورِغيف و"الجنة لمن خاف وعيد الله" وقريب من ذلك "الحمد لله" ، وقَتَلُوا وقَتَّحُوا...⁶ .

بعد سيبويه 180هـ ، من النحاة الأوائل الذين أدركوا وجود هذه الظاهرة في اللهجات العربية . فوصفها في باب الحروف الستة ، إذا كان واحد منها عينا ، وفي فعيل لغتان : فعيلٌ وفَعِيلٌ ، إذا كان الثاني من الحروف الستة إذا كان كذلك كسرت الفاء في

1

2 - ابن فارس . المقاييس . ص 177 .

3 - ابن منظور . لسان العرب . ص 25 .

4 - ينظر . إبراهيم أنيس . الأصوات اللغوية ص : 207

5 - ابن الأنباري . الإنصاف في مسائل الخلاف . ج 1 . ص 726 .

6 - سيبويه . الكتاب . ج 4 . ص 108 .

لغة تميم في لثيم وسعيد ونحيف... وكذلك فعل إذا كان صفة أو فعلا اسما. رجل لعب، وهذا رجل وعك، ونحيد. ويعلل ظاهرة إتباع كسرة الفاء لكسرة العين، فيما ورد من شواهد بغرض تحقيق الحقة¹.

إنّ ظاهرة الإتياء تجري في الاسم والصفة و الفعل .

فسيبويه وصف الظَّاهِرَةَ حِينَا ، واستعمل المصطلح "أَتَبَعُوا" حِينَا آخِر (و أما الذين قالوا مِغْيَرَةً وَمِيعِينَ ، فليس من هذا ولكنَّهم أَتَبَعُوا الكِسْرَةَ الكِسْرَةَ ، كما قالوا مِئْنَنٍ و أُتْبِئُوكَ وَأَجِئُوكَ ، يريد : أَجِئُوكَ وَأُتْبِئُوكَ).²

وفي مقام آخر ، يتعرّض سيبويه لكسر الهاء التي هي علامة إضمّار ، فيفسّر لنا الكسرة في الهاء -الضمير- (فالكسرة ههنا كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها ، نحو كلابٍ - وعابدٍ). وذلك قولك : مررت بهي قبل ، ولديهي مال، ومررت بدارهي قبيل).³

ثمّ وصف ظاهرة الإثباع في لهجات بعض القبائل ، منها قبيلة ربيعة(واعلم أنّ قوما من ربيعة يقولون : مِنْهُمْ ، أتبعوها الكسرة، ولم يكن السّاكن حاجزا حصينا عندهم).⁴ . استعمل سيبويه "أتبعوها" ، متحدّثا عن كسرة الميم وضمة الهاء في "مِنْهُمْ" ، وهذه الظاهرة أطلق عليها اللّغويون اسم "الوهم" . يقول السيوطي (و من ذلك الوهم في لغة كلب ، يقولون : مِنْهُمْ ، و عَنْهُمْ وَيَبْنِيهِمْ ، وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة)⁵ .

أما ابن جني ، فقد تعامل مع ظاهرة الإثباع ، في باب "الإدغام الأصغر" وهو يصف تقريب الصوت من الصوت ، موضحاً أنَّ (من ذلك ، تقريب الصَّوْت من الصوت مع حروف الحلق ، نحو شَعِير وبِـٍـٍ عِير و رَغِيف ...أما مِغْيَرَة ، فليس إِتِّبَاعُهُ لِأَجْلِ حرف الحلق ، إنما من باب مِثْنَيْن ، و من قولهم ، أَنَا أَجْوُكُ وَأَنْبُوكُ وَالْقُرْصَاءُ وَالسُّلْطَان ، وهو مُتَحَدِّر من الجبل...) ⁶. وفي باب "السَّاكِنِ وَالْمُتَحَرِّكِ" يقول: (ومن حركات الإثباع ، قولهم : أَنَا أَجْوُكُ وَأَنْبُوكُ ...) ⁷.

ويظهر من كلام ابن جني، مقارنة بما ورد في كتاب سيبويه، أنَّ كلامهما متقارب إلى حدّ كبير، غير أنَّ سيبويه لم يضع للموضوع مصطلح الإنباع.

والجدير بالذكر هنا ، أن أشير إلى أنّ الحديث عن الإبتاع ، ورد في ثنايا وصف ظواهر صوتية ، كالإدغام الأصغر ، والساكن والمتحرك و تقريب صوت من صوت ، و القلب والإبدال ، والحمل على الجوار. و الملاحظ ، أنّه لم يفرد لإبتاع الحركات ، باب مستقلّ .

أما السيوطي ، فاستهل كتابه ، في حرف الهمزة بإيراد مصطلح "الإنباع" (هو أنواع :فمنه حركة آخر الكلمة المعربة لحركة أول الكلمة بعدها ، كقراءة من قرأ الحمد لله : بكسر الدال إنباعا لكسرة اللام)⁸ ويتناول السيوطي صورا مختلفة ومتنوعة للإنباع ؛ بالوصف

108¹ م. ن. ج 4 ص 108

² - سيويو. الكتاب. ج. 4. ص 195

3. م. ن ج 4. ص 196

⁴ - السبوطي . المظهر في علوم اللغة. ج.1. ص.176.

5- ابن جنن، الخصائص، ج2، ص143.

328. م.ن. ج. 2. ص. 6

⁷ - السيوطي ، الأشباه والنظائر في النحو . ج 1. ص 13

8- م.ن.ج.1. ص17

والتحليل ، ثم تتويع حديثه عن الظاهرة ، بتنبيه ، أورد فيه رأي ابن جني في قراءة "الحمد لله" - بكسر الدال واللام أو بضمتها - بالإتباع .

وخلاصته ، أنه لما كثر ، هذا اللفظ في كلامهم وشاع استعماله ، لحقه هذا التغيير ، المتمثل في إتباع أحد الصوتين الآخر . (اعلم أن العرب أكثرت من الإتباع ، حتى قد صار كأنه الأصل)¹

وقد أثار السيوطي إشكالية إتباع الأول الثاني ، في مقام توضيحه للإتباع في "الحمد لله" - بضم الحرفين - وهو عنده أسهل من "الحمد لله ، بكسرهما ؛ أن (أقيس الإتباع أن يكون الثاني تابعا للأول وذلك أنه جار مجرى السبب والمسبب ، وينبغي أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب ... فتكون ضمة اللام تابعة لضمة الدال)² وهنا تطرح إشكالية الرتبة :

1- الترتيب في الإتباع الحركي ، بين التابع والمتبوع ، في بعض الشواهد التي ساقها النحاة واللغويون القدامى . فقد وردت صور إتباعية ، تبع فيها ، الصائت الأول الصائت الثاني . ويرى السيوطي أنك ، لو قلت : "مُدَّ وشُدَّ وشُمَّ وفِرَّ" (فتتبع الثاني الأول ، فهذا أقيس من إتباعك الأول الثاني ، نحو اقْتُلْ ، أُخْرِجْ)³

لا شك أن لشيوع الظاهرة الصوتية أسباب وغايات ، تتحكم فيها ، منها ما هو متعلق بأسباب عضوية ، كالخفة والاقتصاد في الجهد ، إلى جانب المؤثرات النفسية والبيئية والاجتماعية .

ويمكن تفسير ظاهرة العدول عن الأصل ، بأن (العلة في ترك الأصل ، طلب المشاكلة)⁴ إذ تعدّ المناسبة الصوتية ، أبرز مظاهر التشاكل ، وهو مبدأ عام تحقّقه اللغة ، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، ولو جاء في بعض الأحيان على حساب العلامة الإعرابية . فاللغة قد تضخّي بالعلامة الإعرابية ، كما في إعراب المجاورة في "جُحِرَ ضَبَّ حَرْبٍ" ، حيث يصبح اعتبار المناسبة الصوتية للحركات ، أهم من المحافظة على قاعدة الإعراب.⁵

ويتتبع سريان الظاهرة في اللغة ، بدءا من أصغر مكوناتنا ، ننتقل ، إلى لون آخر من ألوان الإتباع ، وهو الإتباع اللفظي ؛ و كأنّ بالظاهرة في نماء ، ليتجسّد الإيقاع في إتباع الكلمة الكلمة ، فيتحقّق الانسجام و يعظم التأثير في الأسماع .

2- إتباع الألفاظ

تنبّه اللغويون لسريان الظاهرة في الألفاظ . فالإتباع ظاهرة لغوية واسعة النطاق متعدّدة الأشكال والألوان والغايات . وبالتّظر إليها في ضوء من أشكالها الأخرى نحسن رؤيتها ، فنتمّ تصوّرها . إتباع الألفاظ وهذا ب (إتباع كلمة لأخرى توافقها في وزنها وعدد حروفها ومعظم ذواتها ، كقولهم : "حسن بسن")⁶ .

ولأهمية حضور الظاهرة في اللغة وشيوعها جعل جلال الدين السيوطي ، النوع الثامن والعشرين من أنواع اللغة للإتباع¹ .

¹ - السيوطي .م.س. ج.1. ص 16، 17 .

² - سيويه .م.ن. ص 196

³ - الشكاكي .م.س. ص 34 .

⁴ - انظر تمام حسان ... اللغة العربية معناها و مناهها . ص 274

⁵ - محمّد سمير نجيب اللّبيدي . معجم المصطلحات التحويلية والصرفية . ص 33 .

⁶ - السيوطي .المزهر . ج 1. 414 ص - 425

قال ابن فارس (للعرب الإثباع ، وهو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعا وتأكيذا . وروي أن بعض العرب سئل عن ذلك ؛ فقال : هو شيء نبت به كلامنا ، وذلك قولهم ساعب ، لاغب ، وهو خبّ ضبّ . و خرابّ يباب . وقد شاركت العجم العرب في هذا الباب .)²

وبالنظر في تعريف ابن فارس ، ندرك أنه يوافق دلالة "تبع" في اللغة، بمعنى التلوّ والقفو ؛ إذ يأتباع الكلمة الكلمة ، يتحقّق مظهر من مظاهر الموسيقى اللغوية . فالإثباع حقّق وجوده متمثلا في اتّحاد الوزن أو الروي ، في مركّب مميّز موسوم بمخالفته للمألوف من التراكيب في النظام اللغوي .

أما الغرض من استعماله فقد (رُوي) ، أنه بعض العرب ، سئل عن ذلك ، فقال: هو شيء نبت به كلامنا . وذلك قولهم: "ساعب لاغب ، وهو خبّ ضبّ ، و خرابّ يباب" ،

*الإثباع ظاهرة لغوية إنسانية

تؤكد اللغويات التاريخية المقارنة على أن هناك عناصر لغوية مشتركة بين لغات البشر ، منها ما يتّصل بالكلمات ، ومنها ما يتّصل بالتراكيب . ويندرج تحت هذا المستوى الأخير، ذاك الميل العام إلى تكرير الكلمات ، أو مقاطع منها . وهو ما يعرف في الفكر اللغوي العالمي بظاهرة الإثباع (réduplication)³

فالإثباع، ظاهرة لغوية عامّة لا تنفرد بها اللغة العربية ، وقد...شاركت العجم العرب في هذا الباب)⁴. و يمكن إدراج تحت "العجم" من نعرف لغته من الشعوب الأوروبية مثل الانجليز والفرنسيين⁵؛ ذلك أن الإنسان بطبعه يميل إلى تكرار الكلمات ، أو مقاطع منها . ففي لغة الأطفال نماذج ، تتجسّد في الصوت والحركة مثل : "رَن رَن" للجرس و"طاخ طاخ" للرصاص و" تك تك" للساعة . وللتفكّه والمزاح "نونو" و"توتو" و أمثالها.

- Répétition consécutive d'un mot dans une phrase (par exemple c'est très très petit)⁶

فصوت الديك "coucou" وعن نوع من الحلويات " bonbon " وأسماء شركات ، مثل "COCA-COLA".⁷ فالميل إلى التكرير ، يتّضح في النماذج التي تتخذ آلية واحدة في اللغات المختلفة في مثل صيغ الصوت والحركة "عُوعو للكلب" و"كوكو" للديك و"تك تك للساعة" وهذا النوع إتباع ، يقوم على تكرار أو إعادة منطوق صوتي بعينه ثانية . (ففي الألمانية قولهم عن القروش "PINKE-PINKE" ، وعن الديك " KUK-KUK " وعن السيارة "PUFFE-PUFFE")⁸.
فثنائية التركيب ، ملفتة للنظر، جذبت اهتمام اللغويين ولا زالت . وغياب المبرّر في ضبط الظاهرة ، يزيد إغراء ، و تشويقا في الكشف عن أسرارها وقوانينها الخفية . وبهذا يمكن ، التوصل إلى فكّ إشكاليتين تتعلّقان بإثباع الألفاظ :

¹ - ابن فارس . الصحاحي في فقه اللغة . ص 209 .

² - عبد الحميد الأقطش ص 164

³ - السيوطي . المزهري . ج 1 . ص 324 .

⁴ - حسين نصّار . دراسات لغوية . ص 47 .

⁵ - www.larousse.fr

⁷ - م. ن. ص 164

⁸ - عبد الحميد الأقطش . م. س. ص 145

-إحدهما : تتمثل فيما أثاره اللغويون القدامى في إتباع الألفاظ ؛ بسبب اختلاف تصوّراتهم في الرّؤية الإتباعية للألفاظ . وقد مثل موضوع "التّابع"، و الشروط التي ينبغي توافرها فيه ، محلّ اختلافهم . فمن مدرج إياه في الإتباع ومن مخرج له إلى أبواب أخرى غير إتباعية مثل التوكيد و الترادف¹.

وثنائية التركيب في الإتباع اللفظي " وسيم قسيم"، ظاهرة جمالية، إذ التتابع تعزيز لتأدية صفة حسّية، في مثل "قضّ" و بضّ، تعني جميل، فامتزاج المعنيين الأصليين نتج عنه معنى واحد . فالإتباع أسلوب ثنائي مميّز في جمعه بين البنية التي تتسم بالوضوح من جهة في مثل "حسن بسن" وبين الدلالة الملونة بالغموض من جهة أخرى "بسن"

وهذه الميزة الثنائية في مركّب الإتباع، تستحقّ أن تدرس مع بعض الإجراءات البلاغية، بوصفها وسيلة جمالية من وسائل اللّغة.²

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- 1- . أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا
الصاحب في فقه اللّغة ومسانلها وسنن العرب في كلامها. تعليق أحمد حسن بسبح. دار الكتب العلمية . بيروت
- المقاييس في اللّغة. تح. شهاب الدين أبو عمرو. دار الفكر. بيروت
2. إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. ط5. مكتبة الأنجلو المصرية. الدار الطباعة الحديثة. 1979 م
- 3- أبو عثمان بن جني. الخصائص. تح. محمد علي النجار. المكتبة العلمية. دار الكتب المصرية
- 4- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي. مفتاح العلوم. ضبط وشرح. نعيم زرزور. دار الكتاب العلمية . بيروت. 1983م
- 5- ابن الأنباري كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف. تح. محمد محيي الدين عبد الحميد. مط. الاستقامة. القاهرة. ط1. 1945م
6. جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري. تح. عامر أحمد حيدر. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان
- 7- تَمَام حسان .. اللغة العربية معناها و مبناها. ط3 عالم الكتب. 1998م
- 8- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
- الأشباه والنظائر في النحو. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.
- المزهري في علوم اللغة. ضبط وتصحيح فؤاد عليمصور. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان
- 9- حسين نصّار . دراسات لغوية. دار الرائد العربي. ط1. 1981. بيروت. 1983م.
10. سيبويه أبو بشر عمرو بن قنبر. الكتاب. تح. وشرح عبد السلام هارون . عالم الكتب. ط3. 1930م. بيروت لبنان -
- 11- عبد الحميد الأقطش . إتباع الإيقاع في اللغة العربية. مجلة أبحاث اليرموك . سلسلة الآداب واللغويات. مج12، العدد2 جامعة اليرموك الأردن . 1994.
- 12- محمد سمير نجيب اللّبيدي. معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية. ص 33 . مؤسّسة الرسالة. بيروت. دار الثقافة. الجزائر.

الدرس النّحوي وإشكالية التجديد قراءة في المصطلحات و المفاهيم

الدكتور: عمر بوقمرة

¹ - ينظر نحو الثنية وثنية النحو ، تشارلز بيللا . 1957 . wwwz134 ص

² -أزوالد ديكرو. جان ماري سشايغر. تر: منذر عياشي القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. المركز الثقافي العربي الدار البيضاء / بيروت ط 2 2003 . ص 166.